الثورة السورية ...معركة تحرير الريف الحلبي !..

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وسلام على نبيه المصطفى وبعد :

طوال الفترة التي سبقت رمضان ,كانت مدينة حلب وريفها تحت سيطرة النظام , وله الصولة والجولة ,حتى إن خروج المظاهرة وقتها ,كان من أعمال الرجال البواسل على الرغم من أن مدينة حلب لاتوجد فيها أي قوة عسكرية مماثلة في الحجم كما في محافظات أخرى ,باستثناء تواجد عسكري في منطقة المسلمية ,حيث مدرسة المشاة ,والفوج 46 , إضافة إلى تمثيل أمني يليق بمدينة حلب ,كفروع الأمن المعروفة لدى الجميع ,حيث الأمن العسكري ,والسياسي ,والجوي .
لكن بالمقارنة بين الكثافة السكانية الضخمة لسكان مدينة حلب ,وكبر المدينة ,يعتبر التواجد الحكومي مضحكا ,وهذا الذي أقوله لاعلاقة له بالثورة ,فهو تواجد طبيعي معروف قبل سنوات .
أما الريف الحلبي ,فيكاد يخلو من اي تمثيل للجيش ,فلا تجد فيه إلا الفروع الأمنية الصغيرة ,التي تتواجد في كل مدينة وبلدة وقرية من الريف الحلبي .
بقيت حلب إلى قرابة شهر قبل رمضان ,بعيدة عن التحركات الشعبية ,باستثناء بعض المحاولات هنا وهناك ,وانتفاضة بعض البلدات الصغيرة التي كانت تعود للهدوء بفعل الضغط الأمني العنيف عليها .

إذن فحلب كانت خارج معادلة الصراع ,وكان الكثير يعول عليها في التحرك ,لشل النظام ,وتلقينه ضربة موجعة ,قد تؤدي لانهياره ,وسقوطه كما يرى البعض !.

معركة الريف الحلبي .

في عصر إحدى الأيام قبل رمضان ,أتصل بي بعض الإخوة وأخبروني ان الطيران المروحي يحلق فوق المنطقة الحدودية الشمالية بشكل مكثف ولأول مرة ,وطُلب مني وقتها أن أتحرك بالمجموعة التي معي ,لأستطلع الوضع ,وأكون على مقربة من الحدث ,باعتبارنا أقرب مجموعة كانت تمر من تلك المنطقة وقتها ,وبالفعل , تحركت على الفور ,ولدى وصولي ,رأيت طيرانا حربيا كثيفا ,يحلق مستطلعا ,ثم يختفي ويعود ثانية ,وكان السكان في خوف وقلق شديدين .
إنتقلت إلى العمق ,لاطلع على مايحدث ,فعلمت أن كتائب من الجيش الحر ,كانت تتحرك باتجاه أحدى المدن لتبدأ بتحريرها .

وهنا توقفت مع الإخوة ,لنرى جاهزية الدفاعات المحضرة لمثل هذه المعركة , فالمدينة لها أهمية كبيرة ,والأكراد بمليشياتهم المعروفة بالـ "p.k.k" تبعد عنا مسافة 20كيلو مترا فقط .
وجهات كثيرة من المدينة مشكوفة ويسهل الدخول منها فيما لو فكر الجيش النظامي بمثل هذا الأمر .
ولدى الإستطلاع وجدت أن الدفاعات هشة للغاية ,وتقليدية لدرجة تثير الغرابة , فكنت أرى تجمعات لمقاتلين من الجيش الحر يصل عددهم لثلاثين شابا ,يحلمون السلاح ,ويقفون بجانب بعض يراقبون الطائرة التي تحلق فوقهم مباشرة !.
وعندما أقتربت من قائد أحدى المجموعات وسألته ,ماهذه الكومة الترابية على الطريق الرئيسي للمدينة ؟ أجاب :هذه للحماية في حال تم قصفنا بالدبابات !.

عند توغلي في المدينة ,رآني أحد الذين أعرفهم من أبنائها ,وطلب مني أني أرافقه لعدة أمتار ,لأطلع على تجهيز مجموعته ,فرأيت عشرين مقاتلا ,كل منهم يحمل بندقية ,مع مخزني ذخيرة لا أكثر ,ولدى سؤالي عن مهمتهم وسبب إختبائهم وراء الشجر ,قالوا إن مهمتم هي ضرب العدو في حال مروره من هذا الطريق الفرعي للمدينة ,فقلت :وهل يكفي كل واحد منكم ستون طلقة للدخول في إشتباك قد يكون لدى خصمكم فيه مدرعات ورشاشات ثقيلة ؟
قالوا :لا ندري ,هكذا طُلب منا ,ففعلنا .
علم الإخوة المرافقين لي وقتها ,أن الوضع صعب للغاية ,وأنه تفصلنا عن معركة غير متكافئة ساعات قليلة ,وأنه لن يكون بمقدورنا الثبات ,فما نحمله من ذخيرة لاتكفي لتحرير مدينة ,ومواجهة دعم وتوغل من أكثر من محور ,عدا عن الطيران الذي لم يكف عن التحليق طوال تلك الفترة .

بعد دخولنا لقلب المدينة ,بدأت معالم الحرب تظهر تباعا ,فقد ترافق دخلونا مع دخول لواء أحرار الشمال ,وكتائب مارع ,وأعزاز ,وبعض الكتائب الأخرى , وجميع هذه الكتائب المذكورة هنا كما سيرد لاحقا ,توحدت تحت مسمى "لواء التوحيد "المقاتل في مدينة حلب .
بعد دخول الكتائب ,ظهر أنه ليس هناك تنسيق محكم بينها ,فالتحرك عشوائي , والتمركز بحسب مايراه قائد كل كتيبة ,و رغم هذا وبعد ساعة واحدة من صلاة المغرب ,أطلعت أولى رصاصات المعركة .

تمركز جزء من المجموعة المرافقة لي على أطراف المدينة ,ودخلتُ مع من بقي من الإخوة إلى قلبها حيث الإشتباكات ,وماكنت أتخيل والله ,أن الامور ستكون فوضوية إلى هذا الحد ,فجميع الكتائب شنت هجوما مشتركا على مقر أمن الدولة , ورفض المتحصنون تسليم أنفسهم ,وبعد ساعات من الإشتباك ,قاموا بهدم المقر الأمني على من فيه بواسطة "جرافة "أحضرت لهذا الغرض ,فما كان من عناصر أمن الدولة إلا أن سلمو أنفسهم ,وتم إطلاق سراحهم لاحقا !.

وخلال هذا الإشتباك ,تحركت بعض الكتائب من تلقاء أنفسها ,ودون تنسيق ,إلى مقر الأمن العسكري ,وشد أنتباهنا صوت من مأذنة المسجد المجاور ,يطلب فيها من جميع الكتائب التحرك فورا لمقر الأمن العسكري ,لمؤازرة المقاتلين هناك ,وكنا قد علمنا بوقوع بعض القتلى بنيران قناصة متحصنين فيه .
وطوال هذه الفترة التي أحدثكم عنها ,كان الطيران المروحي يحلق فوقنا بكثافة , ورغم أني كنت اتوقع أن يتم قصفنا في أية لحظة ,لكن لم يحدث هذا ,رغم أن أعداد المقاتلين في الشوارع كانت بالمئات ,وكلهم يتحرك على شكل مجموعات ,لكن لم يحدث شيء من هذا ,وبقيت عيني معلقة بالسماء ,تنتظر القصف المروحي ,حسب أبسط ابجديات الصراع .
أثناء وصولنا إلى مقر الأمن العسكري ,علمنا بتحصن ثمانية من النصيرية ,رفضوا تسليم أنفسهم ,فبدأت معركة طاحنة ,توقعنا أن تنتهي خلال نصف ساعة ,لكنها أستمرت يومين !.
كانت أعداد المقاتلين المحاصرين للمقر الأمني تفوق الألف وخمسمئة مقاتل ,وكان بحوزتهم كل مايلزم لحروب العصابات ,وبعد دك المبنى بكافة أنواع القذائف , ورمي كل أنواع المتفجرات ,ومحاولة كل كتيبة تجريب ماعندها ,لم نرى أية نتيجة ,بل بقي القناصة النصيرية صامدون لايريدون الإستسلام .
طلب منا وقتها من قبل الكتائب أن نتدخل ,ونبدي رأينا ,فأشرنا عليهم أن يتم إشعال إطارات ترسل الدخان عليهم فتحجب رؤية القناصة ,ثم يكال عليهم وابل من الرصاص ,وتقوم مجموعة من المقاتلين باقتحام المبنى ,وقبل أن أكمل حديثي , أصيب أحد الإخوة الذي معي برصاصة في صدره ,فاضطررت إلى مرافقته إلى المشفى الميداني ,وحيث أن المدينة وقتها كانت ساحة حرب ,فقد كان التيار الكهربائي مقطوعا ,والوقت في مابعد منتصف الليل ,فإنه لم تكن هناك إلا إنارة للمشفى الميداني ,وحول المشفى مايقارب مئة مقاتل ,كل يريد تفقد جريحه .
بعد إسعاف الأخ ,توفي أحد المقاتلين من أحدى كتائب الجيش الحر متأثرا بجراحه , ولما أعلن للحضور الواقفين أمام المشفى الميداني عن خبر مقتله ,علت الأصوات بالتكبير ,وأنا اقلب نظري بين هذا المشهد وبين الطائرة التي تحلق فوقنا مباشرة , فاقترب مني أحد الإخوة وقال لي :يبدو أننا سنشوى بعد قليل !..
لكن مرة أخرى ,لم نقصف من قبل الطائرة ..
بقينا في تلك المدينة يومين ,حتى تمت السيطرة عليها ,وتم إعتقال ماتبقى من القناصة ,فقام أحدهم بتفجير نفسه رغم أن جميع المقاتلين أمنوه على حياته ,وفور أنتهاء التحرير في فجر اليوم الثالث ,أنسحبنا من المدينة ,وكذلك فعلت بعض الكتائب ,وألتحقنا بإخواننا الذين بقوا على أطراف المدينة يتابعون أحداث المعركة عن كثب .

لم نكن قد استرحنا ,حتى أتت الأوامر بالتحرك للبلدة المجاورة ,حيث يوجد مقر أمني واحد ,ولا وجود لضباط نصيرية ,باستثناء قناص واحد ,وبالفعل توجهنا إلى هناك ,وكان ذات المشهد قد تكرر هنا ,فالمئات من الجيش الحر يطوقون المقر

الأمني ,يجابهون قناصا واحدا وبعض المرتزقة المحسوبين على أهل السنة ,وكنت كغيري ممن معي من الإخوة يراقب الطائرتين اللتين تحلقان فوقنا مباشرة ,وكغيرها من المرات السابقة ,لم تقصف ولم تفعل أي شي .
استمر هذا الإشتباك كذلك ليومين ,لم نشارك فيه ,بل أكتفينا بالمراقبة لقلة الذخيرة التي كانت معنا .
وهنا و في نهاية اليوم الأخير من الإشتباك ,بدأت الطائرة تقصف محيط المقر الأمني بكثافة ,وبدأت كتائب الجيش الحر بالتراجع والإنسحاب ,وكانت أعداد الجرحى الواصلة إلى المشفى الميداني كبيرة ,أستمرت الطائرة بتمشيط محيط المقر الأمني ببراعة ,حتى تمكن من فيه ,من الإنسحاب لمنطقة يسيطر عليها مقاتلو حزب العمال الكردستاني ,فنجوا من الموت بأعجوبة !.
في صبيحة هذا اليوم ,توالت إلينا الأنباء عن إختفاء جميع المفارز الأمنية بكل تشكيلاتها من المناطق ذات الأغلبية الكردية بشكل مريب ,ودون أن تطلق رصاصة واحدة ,وأثناء مرورنا في تلك المناطق ,وجدنا أن حزب العمال قد رفع أعلامه , وسيطر على كل مرافق الدولة ومؤسساتها .

توالى سقوط المدن والبلدات بطريقة عجيبة ولاتصدق ,فكانت كل مفرزة تترك لمصيرها دون أن تصلها أية أوامر بالإنسحاب ,أو أن يصلها اي نوع من أنواع الدعم ,سوى أن كل إشتباك ,كان يلاحظ فيه الطيران المروحي الذي كان يكتفي بالمراقبة ثم الإنسحاب .
وخلال عدة أيام كان الريف الحلبي باكمله محررا ,والجزء الذي يغلب عليه الأكراد كانوا قد سيطروا عليه دون أن يطلقوا رصاصة واحدة .
بدا لكتائب الجيش الحر أن الطريق إلى حلب مفتوح ,وأن الأمر لن يستغرق إلا أياما وتكون المدينة الضخمة بإيديهم .
بعد مناصحات كثيرة لهم ,بأن يتجنبوا هذا الأمر ,وأنه ينافي أبسط قواعد حرب العصابات ,رد علينا أحدهم وهو معرض بوجهه عنا :نحن لسنا عصابات ,نحن جيش !.

وإلى حين كتابة هذه السطور ,لايزال الطيران الحربي ,يحلق فوق تلك المناطق دون أن يقصف منها شيئا ,مع أنه يبادر أحيانا بضرب بعض الأهداف والتجمعات لا أكثر .

توحدت جميع الكتائب التي شاركت في تحرير الريف الحلبي تحت مسمى لواء التوحيد ,وتم زج غالبها في حلب ,رغم أن بعضا منها رغم أن ذكر من ضمن تشكيل اللواء ,إلا أن غالبية مقاتليه ,جالسون في البيوت ,او باقون في مدنهم ولم يدخلوا حلب المدينة أبدا .

ما أريد قوله ,أن الطريق فُتح إلى حلب عمدا ,ولم يفتح من قبل مقاتلي الجيش الحر والدهشة من سقوط الريف بهذه الصورة شاركنا بها الكثير ممن كانوا على الأرض, ثم تقاعس النظام عن قصف تجمعات واضحة للجيش الحر وسهلة المنال .

دخل الجيش الحر مدينة حلب...

يتبع ..

كتبه متجولا ,باحثا عن الشهادة

قاعدي موقوت

الشام المبارك

السبت - 6ذو القعدة 1433 -هجرية

قريبا :

-الثورة السورية ... معركة حلب ,حقائق ميدانية !..

-الثورة السورية ..العروض المغرية ,ومؤامرة وأد الجهاد !..